مزايا الحرف العربي *

ان الحرف العربى ـ فضلا عن تميزه بجمال الشكل ـ يعتبر اختزالا للكتابة .

محمد رضا الشبيبى

اننا أمة انتفعت بحرفنا أمم أخرى فكتبت به .

عبدالرزاق محيى الدين

تتمثل فى الخط العربى ـ مع جمال حروفه وأشكاله ـ سهولة الكتابة وسرعتها .

عبدالعزيز الدورى

الخط العربى يمكن عده أجمل الخطوط العالمية قاطبة .

ناجى معروف

● • ●

قال العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة .

عندما أقدمت بعض الدول الشرقية أو الاسلامية على التخلي عن الحروف العربية الى الحروف الافرنجية في كتابتها وذلك قبل نحو من أربعين سنة تقريبا ، ظهر في الشرق العربي من يدعو الى ترسم هذه الخطوة ومنهم بعض الكتاب اللبنانيين والمصريين وقلدهم في هذا بعض العراقيين .

وحجتهم في ذلك تجنب الاوهام والاخطاء فان الحركات في الخطوط الافرنجية مدمجة في الكلمة نفسها وليست الحركات في الحروف العربية كذلك ..

(*) من خطة « الاقلام » طرح ما يهم من المواضيع على ذوى الرأى والاختصاص لتثبيت آرائهم فيها ، وستتابع المجلة خطتها هذه فى سائر أجزائها .

وقد ثار على أثر ظهور هذه الآراء في الشرق العربي نقاش كثير رجحت فيه كفة المدافعين عن الحرف العربي ٠

ان الحرف العربي ــ فضلا عن تميزه بجمال الشكل ــ يعتبر اختزالا للكتابة ، فما يحتاج الى صفحة في الخطوط الافرنجية لا يحتاج لاكثر من نصف ذلك في الكتابة العربية ٠٠

وقد دارت بحوث ومناقشات في هذه المسألة بيني وبين غير واحد من المعنيين بهذه القضايا ــ لا في العراق حسب ولكن في القاهرة وغيرها ــ وقد استقر الرأي عندي على أن العرب والمسلمين أحوج ما يكونون في هذه العصور العصيبة التي شنت فيها الغارات على ثقافتهم وحضارتهم ان يحتفظوا بشخصياتهم ومقوماتهم مهما كلفهم الامر ٠٠ ومن تلك الشخصيات والمقومات هذه الحروف العربية التي دون بها محصول الثقافة العربية والاسلامية ٠٠

وقد علمنا أن غير واحد من رجال الفكر في بعض الدول التي أقدمت على الاخذ بالحروف الافرنجية بدلا من الحروف العربية وقفوا موقف المعارض المندد بهذه الحركة وما زال موقفهم كذلك حتى اليوم ٠

والمشكلة المزعومة في الكتابة العربية هي مشكلة تورط القراء ببعض الاوهام والاغلاط ، وقد بالغ من بالغ بهذه المشكلة فهي لا تستدعي التفكير في استبدال الكتابة العربية باحدى الكتابات الافرنجية ٠٠ هذا مع العلم بأن الكتابات الافرنجية لا تخلو من مشكلات ومن شواذ كثيرة خصوصا في اللغة الانكليزية ومثلها اللغة الفرنسية وهما اشهر اللغات الغربية ٠٠

ومن رأينا أن هذه الفكرة بعد وضعها على بساطها التمحيص كما تقدم قد طوي بساطها ونستبعد أن تقوم لها قائمة بعد اليوم ٠

ولا يخفى أن عضوا واحدا من أعضاء مجمع اللغة العربية أثار هذا الموضوع في مؤتمر المجمع قبل أكثر من عشرين سنة وقد جوبه بنقد دقيق واتخذ المجمع يومذاك قرارا بتأجيل البحث في الموضوع الى أجل غير مسمى ولم يتقدم أحد باثارة البحث بشأن الاقتراح المذكور حتى اليوم ٠

وقد وقفنا على نماذج غير قليلة من الحروف المقترحة في أضابير مجمع اللغة العربية في القاهرة وفي عدد من الرسائل المنشورة والمخطوطة التي تدعو الى اختزال الحرف العربي وتحويره فلم أجد أنا ولا غيري من أعضاء المجمع اللغوي على الاكثر مزية ترجح الاخذ بشيء من هذه النماذج على الاطلاق ٠٠

وقال الدكتور عبد الرزاق محيي‌الدين نائب رئيس المجمع العلمي العراقي :

الكتابة طريقة من طرق التعبير عن الافكار ، وكما ان لكل امة ذات شأن لغة وأسلوبا في التعبير باللسان كذلك فان لها طريقة في التعبير

بالكتابة ، وتنازل الامة عن أى منهما يعني التنازل عن أهم مقوم من المقومات ·· لذلك فان الدعوة الى العدول عن الكتابة العربية بالحرف العربي يؤدى بقصد وبدون قصد الى التنازل عن بعض مقومات تلك الامة ·· ولقد ترضى بعض الامم التى لم تكن لها منزلة الامم ذات الشأن ان تتنازل لسبب وآخر عن لغتها او عن كتابتها ولكن لم يحدث لامة كالامة العربية ان تنازلت عن حرفها وطريقة كتابتها ··

والكتابة العربية منذ نشأتها حتى عهد قريب قبلت التطور والتغيير كلما اقتضتها ضرورة التطور والتغيير فبعد أن كانت حروفهسا غير معجمة ورأت ضرورة الاعجام أعجمت تلك الحروف ··

وبعد ان رأت حاجتها الى الحركات والسكنات اوجدت تلك الحركات والسكنات ، ومعنى هذا انها كتابة قبلت التغيير والتطوير كلما اقتضاها ذلك ·· والاملاء العربي او الخط العربي يقوم على أساسين من فلسفته :

الاول : الاستغناء عما يمكن الاستغناء عنه من الحروف لان تركـــه لا يضير بالفهم ، وزيادة ما يجب زيادته من الحروف لانفي زيادته مايستوجب العون على فهم المقصود ، فليس في الكتابة العربية حرف يحذف الا لعـــدم وجود ضرورة له ، وليس في الكتابة العربية حرف يزاد الا لضرورة تقتضي هذه الزيادة ··

فالالف بعد واو الجماعة تزاد من اجل التفريق بين الفعل للجماعـــة وبين الفعل المعتل بالواو المفرد ·· والالف تحذف اذا وقعت بين علمين وفي سطر واحد من كلمة « ابن » لان الغاءها لا يضير بفهم المعنى ·· ان بعض الحروف توصل بما قبلها حينا وتفصل عما بعدها حينا من أجل التمييـز بين الحرفين لاختلافهما في المعنى كما في كلمة (ما) الكافة و(ما) الموصولـة حين تقترن بهما « ان » ، وكما في حذف الف (ما) الاستفهامية والاكتفـــاء بالميم المجردة ، وكما في كلمة الذين واللذين للتمييز بين الجمع والتثنية ·

اخرج من هذا الى أنه لم يستزد حرف ولم ينقص حرف الا من أجل قصد التفهيم والتمييز والايضاح ··

والاساس الثاني : القصد الى التزيين والتحسين في شكل الحرف ، ولهـذا اختلفت اشـكال الحروف بين خط عربي وخط عربي آخر وأصبح للعربية أكثر من خط واحد تنوعا في الكتابة وذهابا وراء الجمال ·

وعليه فأى تغيير في الخط العربي لا يعتبر حدثا جديدا ولا شيئا نابيا اذا احتفظ للامة بالتمييز الخطى الذى حافظت عليه طيلة القرون الماضية ، واذا لم يؤد ذلك الى الجهل بقراءة الكتب السابقة واقامة حاجز بين أجيالنا وبين آثار امتهم السابقة ··

نحن امة نختلف عن كثير من الامم ، ذلك اننا امة ليست حديثـــة الوجود وليس تراثها الحضارى بالشيء الذى يمكن ان تستغنى عنه ، وليس حالنا حال الامة التى لم تفقد شيئا لانها ما كانت تملك شيئا ، ولا حـــال

الامة التى تريد ان تنشىء لها « أبجدية » من جديد ، وليست لغتنا لهجة من امة اخرى حتى ترجع الى لهجة الام ·· لذلك فان أمرنا يختلف عن حال هذه الامم التي غيرت من خطها ومن حرفها ، بل نضيف الى ذلك اننا امة انتفعت بحرفنا أمم اخرى فكتبت به وانتفعنا بعقول أمم اخرى لانها كتبت بخطنا والتقت عقولنا وعقولهم في هذا المحيط الحرفي ··

ونحن اذ نترك هذا الحرف ــ لو تركناه ــ فسنترك مالنا وما للامم الاخرى التي شاركتنا الانتفاع بهذا الحرف ·

ومع اعترافي بأن تعلم الخط العربي فيه مشقة ، ولكنها مشقة لا تخلو منها كتابة في العالم ·· ولعل بعض الامم التى نحاول تقليدها الان هى اكثر منا شعورا بالمشقة التى تعانيها من كتابتها ·· وخلاصة رأيي ان اى تغيير في الخط العربى يجب ان يتم على الصورة التى حدثت فيها التغييرات السابقة فالخط العربى كما قلت ليس واحدا فى كل العصور ·· واختلاف كتب الاملاء وطريقة الكتابة تشهد بان التطور كان يحدث بين جيل وآخر ·· فالتغيير بمعنى التطوير ممكن وغير مضر ، والتغيير بمعنى المسخ واخذ حرف أجنبي، مضر وغير ممكن ·· والامر ليس أمر رغبة فردية أو رغبة جماعة وانما هو امر هذه الامة بمجموعها ، وافتراض شيء على أمة من هذا القبيل عبث لا يستجاب له ··

ومع هذا فاني لا أجد يأسا ولا أحول دون ان تتخذ تجارب وتسلك سبل في تعلية الخط العربى وتوضيحه ، على أن يترك امر ذلك الى الناس في حالة رفضه او قبوله ، وان لا يعمد الى القوة والتشريع المجمعي في فرض نوع من الكتابة على الناس ·· ولا أن يبلغ الالحاح بصاحب الدعوة الى تسخيف ما كان عليه الخط او تزييفه ، فان ذلك يعنى فى نظرى الجهل بفلسفة الخط العربى القديم والتحامق في فرض الاراء على الناس ··

وقال الدكتور عبدالعزيز الدوري رئيس جامعة بغداد :

ان أية لغة أصيلة ، تكون وحدة متماسكة في كلماتها وأصواتها وأساليب التعبير فيها ووسيلة كتابتها أو حروفها ·

وهذا يصدق بوضوح على العربية فهى في تكوينها وفي جوهرها وفي حروفها تمثل وحدة متكاملة نشأت ونمت في البيئة الثقافية العربية ·

لقد عرف اسلاف العرب سكان الجزيرة ــ الذين نسميهم مجازا بالساميين ــ بعبقريتهم في ايجاد وتطوير حروف الكتابة ولم يتعلموا الحروف من غيرهم بل كانوا معلمين لغيرهم في كثير من الحالات ، وقد قام العرب بنفس الدور فيما بعد في حروف الكتابة العربية ، ويتبين من تتبع تاريخ الحرف العربي انه بدأ من اوليات قديمة أوجدها أسلافهم وانه نما وتطور وتفرع وتكامل عبر التاريخ ، ليكون ملائما لمستلزمات اللغة العربية وحاجاتها

ومنسجما مع الذوق العربي ومع النفسية العربية - وتمثل في اشكال الحرف العربي وطرق رسمه جانب مهم من الاستعداد الفني عند العرب ومـــن مواهبهم الفنية ·

ولا يخفى ان تطور الخط العربي مرتبط كل الارتباط بنشوء الفصحى وتطورها ، وان حروفه استجابة واضحة لها · فمع وجود لهجات او لغات محلية عربية قبل الفصحى ، ومع استمرار اللهجات بعد قيام الفصحى والى الان فان الحرف العربي هو حرف للفصحى ووعاء لها · وهذا هو الذي يفسر عدم وضع حروف معترف بها لبعض الاصوات الموجودة في اللهجات العامية رغم سهولة ذلك وتوفره ·

وتتمثل في الخط العربي ــ مع جمال حروفه وأشكاله ــ ســـهولة الكتابة وسرعتها اذا قيس الحال بالحروف اللاتينية· وهذه ظاهرة استرعت انتباه الكثيرين · ويتضح ذلك اذا لاحظنـــا أن العربية لا تكتب بالحروف المنفصلة المتباعدة كما هو حال اللغات التي تكتب بالحروف اللاتينية بـل تتصل الحروف في رسم الكلمات ، بأشكال تكون فنا رفيعا قائما بذاته ·

ومن هذا يتضح ان الحروف العربية ليست ملابس نخلعها ونستبدل بها غيرها · فهي جزء من كل متماسك هو اللغة العربية ، وهي وعاء لتراث ضخم ، وهي جانب رئيسي في الفن العربي وفي الريازة العربية ·

قد تكون الدعوة للتخلي عن الحرف العربي جزءا من الدعوة الى تقليد الغرب ، والتنكر للذات · وقد تكون الدعوة تعبيرا عن رأي من يريد التخلي عن الفصحى ويريد الرجعة الى اللهجات العامية وهذا ما لا نرتضيه ولا نقره· وقد يتعلل آخرون بالميل الى البساطة ، وهذا تعليل لا يخلو من طرافـــة ولكنه لا يتمشى ومنطق الحضارة او التاريخ او الواقع ·

ورد الاستاذ ناجي معروف عميد كلية الآداب بجامعة بغداد ، على سؤال الاقلام بالمقال التالي :

هذا سؤال وجهته الي مجلة الاقلام التي تصدرها وزارة الثقافـــة والارشاد بواسطة أحد محرريها الذي زارني في كليـــة الاداب ــ وبعد مناقشة طويلة قلت له : سأحدثك عن هذا السؤال من ناحيتين : الاولى شـــكلية · والثانية موضوعية ·

أما الناحية الشكلية فالخط العربي يمكن عده أجمل الخطوط العالميـــة قاطبة ، قديمها وحديثها ، بدليل ان العرب ، والمسلمين استعملوه في الكتابة، وفي الزخرفة في البلاد العربية والاسلامية كافة ، سواء أكان ذلك على الآجر ، والرخام ، والحجر ، والخشب ، والجبس ، والجص ، والبرنز ، والفخـار والخزف· أم على الاقمشة، والملابس، والانسجة، والحلل المختلفة· أم على المســكوكات النحاسية ، والفضية ، والذهبية · وســواء أكان ذلك في دور

الطراز ، أم في المساجد ، والمدارس ، والربط ، والزوايا · أم على الاسوار ، والقـــلاع ، والقناطر ، والجسور · أم في المخطوطات في العالمين العربـــي والاسلامي ، وعند الامم الاجنبية ·

وقد استطاع الفنان العربي أو المسلم أن يبدع فيه ما شاء له الابداع والابتكار على شكل حروف ، وكتابات هندسية ، وعلى شكل حروف مشجرة مزهرة او مورقة فابتكر صورا فريدة ، ونماذج رائعة من هذا الخط بأنواعه المختلفة من نسخي ، ورقعة ، وديواني ، وتعليق ·· الى آخر ذلك مما هـو منسوب الى أشهر الخطاطين الذين نبغوا بفضل هذا الخط وجودوه وجعلوا له اصولا فنية وقواعد علمية · كابن البواب الملقب بـ « قلم الله في أرضه » وابن مقلة وهو تحفة الخطاطين ، والمهندس الاول للخط العربي ببغداد على رأس الثلاثمئة من الهجرة· وهو الذي طوره ووضع القواعد لحروفه· وتفنن في تنويعه حتى قالوا فيه : « أفرغ الخط في يده كما أوحي الى النحـل في تسديس بيوته» · وياقوت المستعصمي الملقب بـ «قبلة الكتاب» وتاج الدين بن السباك الحنفي الذي كان خطه « رياضـا مونقـة مايرضي أن يكون ياقوت المستعصمي فصا في خاتمه » ·

وقد نابت هذه الروائع عند المسلمين مناب التماثيل ، والمنحوتات ، والتصاوير التي عند الامم الاخرى، وكان من ذلك ثروة ضخمة لايشبهها ماعند الاجانب ، يعتز بها كل عربي · وكل مسلم · ولذلك فان تبديل هذا الخط الجميل بغيره يحرم العالم العربي والاسلامي من هذه الصور الفنية التـــي تتمنى الامم الاجنبية ان يكون لديها مثلها أو ما يشبهها ·

ان الاجانب ما يزالون يرون في هذا الخط العربي نوعا جميلا من أنواع الزخرفة الفنية ، فالاسبان كما رأيتهم في غرناطة سنة ١٩٦١م يحاولون احياءه في مصنوعاتهم الخشبية حين ينقشون عليها « ولا غالب الا الله » أو حين يطرزون بعض المطرزات من أفرشتهم وبعض ثيابهم · ولا تـزال المصنوعات الايطالية تحمل تقليدا للخطوط العربية في بعض الانسجة ، والاقمشة ، والصواني والاواني · ولا سيما المصنوعة من الصفر أو الشبه وهو النحاس ·

وفي الوقت نفسه ما يزال الاوربيون يعتزون بالاحقاق العاجية المطوقة بالكتابات العربية ، والتي تحمل بعض آثار قديسيهم ، كما يعتزون بملابس رجال الكهنوت ، وبزاتهم الدينية ، ومخلفاتهم الاخرى التي رسمت عليهـا الحروف العربية في مختلف الكنائس وبخاصة تلك التي في صقلية وايطالية واسبانية والبرتغال حيث مدن العرب هذه الاقطار · ولبثوا فيها قرونا عديدة ويعتبر الاوربيون ذلك من تراثهم المقدس على الرغم من جهلهم بما قد تدل عليها من فكرة التوحيد والاعتراف برسالة محمد (ص) ·

أما من الناحية الموضوعية فان كل المؤلفات العربية المخطوطة منهـــا والمطبوعة تعد اليوم بالملايين في البلاد العربية والاسلامية ، والاجنبية · وان

تبديل حروفها العربية بغيرها سيحرم العالم العربي والاسلامي وحتى الاجنبي من تراث ضخم يمتد مئات السنين قد تبلغ نحو أربعة عشر قرنا . وفي الوقت نفسه لا يستطيع العرب والمسلمون أن يستعيضوا عنها بأحسن منهـا .

ويتبادر الى الاذهان سؤال هو : ما الذى يحملنا على تغيير هذا الخط الجميل ذى التراث العظيم بخط أجنبي نجهله ولا يمت الينا بصلة ؟ فان كان السبب في ذلك هو تأخر العرب بسبب حروفهم فان هذا الخط العربي لم يؤخر العرب ولا المسلمين في العصور الوسطى أن يكونوا سادة الامم ، وأن يقدموا للعالم تلك العلوم ، والآداب التي درسها العرب والمسلمون والاجانب ونبغوا فيها ، وكان منهم علماء عظام دونوا نتاج افكارهم بهذا الخط العربي الذي انهارت أمامه خطوط أمم ،وحضارات أقوام عريقة. فقد انهار أمام الخط العربي الخط الهيروغليفي بمصر ، والخط المسماري في العراق ، وخطوط فارس والهند. كما انهارت أمام حضارة العرب الحضارات المصرية والفارسية والعراقية والاغريقية والرومانية ، وبقي العرب حتى اليوم أمة قائمة لهـا وجودها وكيانها ومقوماتها ، من لغة بليغة ، وتاريخ مجيد ، وأمجاد رفيعة . بينما أصبحت تلك الامم وعلومها وخطوطها في ذمة التاريخ أمما اثرية لا وجود لها . وغدت أطـلالا دراسـة ينقب فيها علماء الآثار ، وهيئات التنقيب . ويدرسونها في المتاحف ومعاهد الاثار .

بينما نجد أن مؤلفـات العرب ، ومصنفات المسلمين المدونة بالخطوط العربية قد أصبحت مصادر لتاريخ تلك الامم ، ومراجع لجغرافية بلادهـم وثقافاتهم المختلفة . وكان الاوربيون يسارعون الى الارتشـاف من مناهلها الثرة إبان عصر النهضة الاوربية عن طريق الاندلس وصقلية وبلاد المشرق .

ولنفترض ان العرب رضوا بتغيير هذا الخط ورغبوا في تغييره فعلا فما النتائج التي ستنتج عن تحقيق هذه الفكرة الخاطئة المجرمة بحق العرب وحق تراثهم الحضاري الزاهر ؟ يمكننا أن نجيب على ذلك بالامور الآتية :

١ ــ لما كانت الامة العربية اليوم لا تحكمها دولة واحدة فلا يمكن أن يفرض هذا التغيير على كل البلاد العربية . ولو أخذ بذلك أكثر الدول العربية وبقيت دولة عربية واحدة او امارة عربية واحدة أو أكثر فستحصل البلبلة من دون شك بين العرب . وسيكون من نتـائج ذلك : التباعـد بين العرب أنفسـهم .

٢ ــ ولو أن العرب أجمعوا على تبديل هـذا الخط ولم تتخلف دولة واحدة من دولهم أو اماراتهم ــ وهذا غير ممكن ــ فهل من مصلحة الامـة العربية أن تبتعد عن أمم ودول عديدة تكتب بخطنا ، وتعتز بتراثنا وعددها يزيد على خمسة أضعاف العرب أو بما يقدر بنحو ٤٠٠ مليون ممن يكتبون بالخط العربي في آسية وافريقية وأوربة ، ويعتزون به منذ ما يزيد على ألف سنة، وهم يحرصون عليه كل الحرص؟. أضف الى ذلك أنهم اليوم ينشرون

تراثنا العربى المخطوط بهذا الخط في مطابعهم المحلية ، كالهند وباكستان وايران ... الخ ٠

٣ ــ لو افترضنا اننا قمنا بثورة على خطنا وأخربنا بيوتنا بأيدينا ، فماذا سنفعل بثروتنا المطبوعة والمخطوطة عند تبديل هذا الخط بغيره؟ وماذا سيكون مستقبل ذلك التراث التالد الخالد ؟ هل سنعيد طبع هذه الالوف المؤلفة من كتبنا بالحرف الجديد ؟ أليس هذا ضربا من الجنون وأمرا مستحيلا عجزت عنه تركية وهي قطر واحد محدود الرقعة وليست مثل العرب في سعة بلادهم وامتداد اطرافها وتعدد أقطارها ودولها ٠ ثم ألم تتأخر أكثر من قرن من الزمن بشهادة الخبراء الاجانب ! ألم تعجز عن الافادة من مخطوطاتها ومطبوعاتها المكتوبة بالخط العربي ! أضف الى ذلك أنها انفصلت عن ماضيها الذى كان قوام حياتها وعزها ٠٠

٤ ــ ان خطنا العربي هو خط عربي الاصل والنشأة ، وجد في جزيرتنا العربية ولم نستعره أو نقتبسه من غيرنا لنتساهل في نبذه أو تبديله بمثل هذه السهولة! ولذلك فالتفريط فيه تفريط في شرفنا وفي تراثنا وفي حضارتنا الاصيلة ٠ ولا يمكن تركه أو الاستهانة به ٠ ولئن فعل ذلك غيرنا فنبذوا حروفهم وخطهم فلانهم لم يكن لهم خط يعتزون به ولا تراث يغضون عليه بالنواجذ٠ ولذلك كان سهلا عندهم أن يغيروا خطا أجنبيا بخط أجنبي آخر٠

٥ ــ ان خطنا قد نما وتطور خلال العصور ، ولكنه لم يتغير عن أصله بل بقي ثابتا بحروفه وحركاته منذ أول نشأته حتى اليوم فهو بذلك كاللغة العربية يمكن فهم نصوصها ومدوناتها القديمة منذ العصر الجاهلي بيسر وسهولة كفهم نصوصها الحديثة ، بخلاف اللغات الفرنجية فهي اليوم غيرها قبل أربعة قرون أو أقل ٠ بينما العربية هي اليوم نفسها قبل نحو خمسة عشر قرنا أو أكثر ٠

والخط العربي الذي دونت فيه هذه اللغة وآدابها وتراثنا الحضاري كله يمكننا ان نقرأه ونفهمه ونستوعبه بكل سهولة بينما تغير الخط الفرنسي والانكليزي خلال العصور واختلف رسمهما كثيرا بحيث أصبحا يختلفان عما كانا عليه قبل بضعة قرون ٠ وأنت ترى أن هذه ميزة كبيرة للخط العربي واللغة العربية ، لا تجد مثلها عند الامم الغربية الحديثة ٠

٦ ــ اننا اذا غيرنا هذا الخط بغيره فان الاجيال العربية القادمة ستنظر الى التراث العربي الخالد وكأنه تراث أجنبي لابد لفهمه من تعلم الخط العربي الى جانب الخط الجديد الموهوم ، ومما لاشك فيه أن العربي أو المسلم ينكر هذا انكارا تاما ولا يرتاح له ٠ واذا كانت الارقام العربية التى تكتب في المغرب على غير صورتها التىعندنا ونحن في المشرق ننكرها عليهم او هم ينكرون علينا الارقام التى نستعملها ، فكيف بنا لو فعلنا بالخط العربي مثل ذلك ؟ الا يكون التناكر بين العرب أنفسهم وبين المسلمين من الامم الاخرى أشد وأبلغ ؟ ان مثلنا في ذلك كمن يمتلك من الكسب الحلال

ثروة طائلة لا حصر لها ولا عد ، ثم يفرط بها ليستجدي من الغير دراهم معدودات يريد أن يقيم عليها مجده ويبني مستقبله ، اللهم انه لمنكر — اذ يعتز غيرنا بخطنا وتراثنا — أن نعتز نحن بخط غيرنا !! .

من أجل ذلك رحب مؤتمر وزراء التربية الذى انعقد ببغداد قبل عدة أشهر بالاقتراح الذي قدمناه في اللجنة الاولى وهو يقضي أن تحافظ الدول العربية على الخط العربي الى جانب اللغة العربية وقد تبنى المؤتمر هـذا الاقتراح واولاه ما يستحق من العناية باعتباره من صميم مقومات القومية العربية .

ونود أن نناقش سؤالا آخر ، هو ماذا يكمن وراء الدعوة الى تغيير الحروف العربية بالحروف اللاتينية ؟ ولماذا يسعى بعض العلماء والمستشرقين الى اقناع العرب بهذه الفكرة ؟ ولماذا يشايعهم على ذلك بعض المنخدعين من الكتاب العرب ممن لا يدركون خطورة هذه الدعوة ؟ يمكننا تلخيص الجواب على هذه الاسئلة بالامور التالية :

١ — مما لاشك فيه ان الغرض من ذلك ايقاع التفرقة بين العـرب أنفسهم أى بين من يرغب في هذا التبديل وبين من لا يرغب فيه . وبالنتيجة ستكون التفرقة والشقاق بين الـدول ،والحكومات العربيـة ، والشـعوب العربية ، والكتاب ، والمؤلفين ، والمطابع ، وأصحاب المكتبات ، ودور النشر ، والمدارس . وهذه من دون شك كارثة تمنى بها الثقافة العربية والاسلامية ، وتحقيق لهدف استعماري بعيد ينطوي عـلى التفرقة والبلبلة والدس للامة العربيـة .

٢ — ولا شك في ان الغرض من ذلك أيضا هو ابعاد البلاد الاسلامية عن البلاد العربية ، وهي أمنية طالما تمناها المستعمر الذى يرى في الاسـلام أقوى أعدائه ، وألد خصومه ذلك ان العرب ان غيروا خطهم وحروفهم بحروف أخرى فان البلاد الاسلامية التي ستحافظ على خطها العربي ستبتعد عـن البلاد العربية التي غيرت حروفها . وبذلك يضعف الاسلام ككل عن مناوأة الغرب وأهدافه الاستعمارية .

على أننا نعتقد ان العرب ان حافظوا على تراثهم واعتزوا بلغتهم وخطهم وأصبحوا أمة محترمة ، مرهوبة الجانب فستسارع البلاد الاسلامية الى تعلم اللغة العربية واتخاذها لغة رسمية لهم بدلا من اللغات الاجنبية لان العربية لغة القرآن ولغة الدين الاسلامي ، ولكن العرب من هذه الناحية مقصرون كل التقصير في نشر لغتهم على الاقل في البلاد الاسلامية التى تحترم العـرب وتقدسهم ، وتحرص على تعلم لغتهم وخطهم .

٣ — يضاف الى ما تقدم امر مهم آخر هو : ماذا سيكون موقفنا مـن القرآن الكريم ؟ هل نغير حروفه بالحروف الفرنجية الجديدة ؟ أم نبقيه بحروفه العربية ؟ واذا غيرته البلاد العربية فما الذى يجبر البلاد الاسلامية على تغييره ؟ أليس في ذلك بلبلة وأي بلبلة بين من يغير هذه الحروف العربية

وبين من يحافظ عليها ؟ ألا نكون مضطرين حينئذ أن نتعلم الخط العربي القديم والاجنبي الجديد في آن واحد ؟ ثم أليس في ذلك من ضياع الجهد ما نحن في غنى عنه ٠

٤ ــ واذا كان الغرض من هذا التغيير هو تسهيل الكتابة وتيسيرها باعتبار ان الخط العربي صعب على ما يتوهمون فهل الكتابة بالحروف الانكليزية والفرنسية أسهل من الكتابة بالخط العربي ؟

اننا نجد الامر على عكس ما يدعون لان العربية ليست أصعب من الالمانية أو الفرنسية ٠ ولان الخط العربي ليس معقدا كالخط الفرنسي أو الانكليزي بل هو أخف منهما بكثير ، ذلك لان كثيرا من الحروف باللغة الانكليزية لا يتلفظ بها في الكلمة الواحدة ٠ تقول :

Write, Know, Knight, night, light, though.
Thought, through knowledge, neighbour...etc.

ففي كل كلمة حرف أو حرفان أو أكثر لا يتلفظ بها ولا تخضع لقاعدة معينة في الكتابة والرسم ، وهناك عشرات الامثلة التي تثبت ما ذهبنا اليه مما لا نجد له مثالا في العربية ٠

وفي الفرنسية أيضا تكتب الكلمة بأكثر من عشرة أشكال وتلفظها لفظا واحدا تقريبا وفي كل كلمة حرفان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة لا يتلفظ بها مما لا نجد له مثيلا فى العربية لاننا نكتبها كما نسمعها ونلفظ كل حروفها ٠ ومع ان التصريف في اللغة الفرنسية قياسي يتبع قواعد معينة الا أن التلفظ يكاد يكون واحدا والرسم أو الاملاء مختلف جدا ، فالفعل manger يلفظ كالاسم le munger كما يلفظ مثل ذلك في الصيغ والتصريفات الاتية للمفرد والجمع ٠ تقول :

mangés, mangée, mangé
je mangeai, je mangeais, j'ai mangé — وتقول :
Ils mangeaient, Il mangeait — وتقول :
Vous mangez — وتقول :

٥ ــ وهناك أمر آخر له أهميته ، وهو أن عددا من الحروف العربية غير موجود في اللغات الاجنبية كالضاد والصاد ، والعين والقاف ، والحاء ، والخاء ، والطاء ، والظاء ٠٠٠ الخ ولذلك ينبغي في حالة تغيير الخط العربي اضافة حروف أخرى الى الحروف الاجنبية أو تنقيط بعضها ، أو وضع بعض العلامات عليها لتلفظ تلفظا آخر يدل على حروف أخرى كما يفعل المستشرقون والعلماء حين يجعلون مثلا للحرف H الذي يقابل (هـ) بالعربية نقطة من تحته فيكون هكذا Ḥ لينطق (ح) كما يجعلون للحرف نفسه علامة من تحته هكذا Ḫ لينطق (خ) ومثل ذلك يقال فى الحروف الاخرى التى

لا توجد في الحروف الفرنجية • ومعنى ذلك اننا عسرنا الخط بدلا من تيسيره •

فما أجدر هؤلاء الداعين الى اصلاح لغتنا وخطنا من الغربيين ان يصلحوا الخط الانكليزي والفرنسي وغيرهما من الخطوط الغربية • ثم اليس في عمل الاميركان باتخاذهم طريقة خاصة في رسم خطهم ما يثبت أن الحروف الانكليزية بحاجة الى مثل هذا الاصلاح والتيسير والتسهيل ؟ وكذلك الحال في اللغات الاوربية الاخرى والشرقية التي تعاني مثل هذه المشكلة والتي تصبح مشكلة الخط العربي ــ ان صح وجودها ــ أمرا تافها أمام هذه المشاكل المعقدة التي في الغرب والشرق ، فلماذا يرون الاصلاح لنا ولا يرونه لانفسهم ؟ ذلك ما كنا نشرحه باستمرار لطلابنا في الجامعة في شتى الظروف والاحوال بالشكل الذي نوهت به آنفا • وبهذه المناسبة اذكر للتاريخ ان مناقشة حادة في هذا الشأن جرت ببغداد في سنة ١٩٣١م عندما كنا طلابا في دار المعلمين العالية على أثر ذيوع بعض الاراء الشعوبية الرامية الى تبديل هذا الخط بالحروف اللاتينية وترويج الدعوة لها • وكانت المناقشة بين عدد من كبار أساتذتنا يومئذ أذكر منهم الاستاذ ساطع الحصري والاستاذ أحمد حسن الزيات • والمرحوم طه الهاشمي والمرحوم طه الراوي والمرحوم ناجي الاصيل والمرحوم محمد درويش المقدداي وكان معهم استاذان آخران لم تدرس عليهما ، هما المرحوم عبدالعزيز الثعالبي التونسي والمرحوم معروف الرصافي واذكر ان هؤلاء الاساتذة ــ كما أخبرنا الاستاذ ساطع الحصري في احدى محاضراته الصفية ــ أجمعوا على أنه لا مصلحة للعرب البتة في تبديل الخط العربي بغيره ، وانهم أجمعوا على ضرورة المحافظة عليه، وشجب الاراء المناهضة لهذه الفكرة •

وبعد فاني أرى في تبديل هذا الخط العربي بغيره غاية استعمارية وفكرة شعوبية حاقدة لضرب الحضارة العربية ، والثقافة الاسلامية • وردة تبغي القضاء على العرب والمسلمين ينبغي استئصالها والقضاء عليها •